

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذة : دلولة خلدون

السنة الثانية : دراسات أدبية

المحاضرة رقم 7

نظريات التعلّم 3: النظرية المعرفية

النظرية المعرفية:

وهو ذلك الاتجاه الذي لا يعتمد كما في الاتجاه السلوكي الارتباطي أساسا على الارتباطات العصبية بين المثيرات والاستجابات، بل أن سلوك الكائن الحيّ يعتمد على خاصية الفهم وإدراك العلاقات في إطار النظرة الكلية الشاملة لعناصر الموقف، ففي حين كانت النظرية السلوكية تركّز على مفاهيم المثير والاستجابة والتعزيز والأثر والعقاب، أخذت النظرية المعرفية تركّز اهتمامها الأول على سيكولوجية التفكير، ومشاكل المعرفة بصورة عامة وفيما يلي بعض النظريات المعرفية الهامة:

1- النظرية الجشطالتيّة:

هي أساسا نظرية في التفكير وحلّ المشكلات، وهي نظرية تهتم بإنصاف الطبيعة المنظمة والمحدّدة للحقيقة، كما تحارب وجهة النظر القائلة إنّ العقل الإنساني والسلوك الإنساني لا يعدوان كونهما المجموع الكلي لسلسلة الارتباطات الاعتباطية، وتتلخّص هذه النظرية في أنّ الكلّ ليس مجرد مجموع الأجزاء التي يتألّف منها بل إنّ الكلّ شيء مختلف اختلافا جذريا عن أيّ مفهوم يعني إضافة الجزاء بعضها إلى البعض، إذ الكلّ - حسب هولاء- نظام مترابط باتساق، مؤّن من أجزاء متفاعلة، وهو منطقيا ومعرفيا سابق لأجزائه.

ومن المفاهيم الأساسية لهذه النظرية نجد مفاهيم " البنية " " التوزيع الذاتي " " التنظيم " " الاستبصار والفهم"، وأما عن التعلّم فيعمد في هذه النظرية اعتمادا وثيقا على الإدراك وينطوي على إعادة التنظيم، كما أن التعلّم الحقيقي ينطوي على الاستبصار، ويمكن نقله إلى مواقف تعلّم جديدة، يحتفظ به فترة أطول كثيرا من تلك المواد التي يتم حفظها واستظهارها.

2- النظرية البنائية لبياجيه:

إذا كان "هل" و "سكينر" يريان أن التعلّم تغيّر في السلوك ينجم عن التدريب المعزّز (التعزيز)، فإن "بياجية" يصرّ على أنّ التعلّم الحقيقي هو التعلّم الذي ينشأ عن التأمل والتروّي فالتعزيز - في رأيه- لا يأتي من البيئة كنوع من الأشياء، بل إنّ التعزيز ينبع من أفكار المتعلم ذاته.

ويعترف بياجيه أنّ التعلّم يتم جزئياً بفعل عوامل البيئة الاجتماعية والمادية كما يعترف بوجود الكائن الحيّ بصورة سليمة لم تمس كشرط أول لحدوث التعلّم. ولكنّه يضيف إلى ذلك عاملاً آخر هو عامل الموازنة التي تقود معرفي غير متناقض، وهي لا تنجم عما يراه الإنسان ولكنها تساعد على فهم ما يراه، وعن طريق هذه القدرة الموروثة، التي يُطلق عليها اسم الموازنة، يستطيع الإنسان تدريجياً الاستدلال على الكيفية التي ينبغي أن تكون عليها الأشياء في هذا العالم ويتعرض "بياجية" للكثير من قضايا التعلّم ، والمفاهيم التي تؤدي إليها هذه القضايا نوجزها في العبارات الآتية :

- كيف يتم قياس التعلّم؟
- هل يتم التعلّم فجأة أم تدريجياً؟
- ما هو محتوى التعلّم؟
- ماهي محدّدات التعلّم؟
- كيف يتم الشرح أو التفسير؟

وعليه يمكن القول إنّّه في حين كانت النظريات الترابطية السلوكية تركز على مفاهيم المثير والاستجابة والعقاب و الأثر، ذهبت النظرية البنائية إلى تحديد مراحل التطور المعرفي عند الإنسان (الطفل) يتم خلالها تنمية القدرة على التفكير والاستدلال، فالطفل - مثلاً- يستطيع القيام بعملية القسمة في الحساب بناء على ما يتوصل إليه من ناتج عملية الضرب.

3- التعلّم بالملاحظة:

يجيب هذا الجانب عن سؤال كيف يتعلّم الإنسان استجابة جديدة في موقف اجتماعي؟ بقوله: إنّ الناس يستطيعون تعلّم الاستجابات الجديدة بمجرد ملاحظة سلوك الآخرين الذين يمثلون نماذج تعليمية.

الملاحظة ← الاقتداء بالملاحظة ← اكتساب الاستجابة

وذلك مع اعتبار الجانب الانتقائي في التعلّم، لأنه عند تعريض الأطفال للنموذج ذاته نجد أنّ بعضهم يتعلم بعض جوانب سلوك النموذج في حين يتعلّم غيرهم جوانب أخرى، كما تقوم النظرية على آليات متداخلة نلخصها في العناصر الآتية:

1- العمليات الإبدالية:

وتعني على حدّ قول "باندورا" نفسه، أنّ التعلّم الناجم عن التجربة المباشرة يمكن أن يحدث عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين، وأثر ذلك على الشخص الملاحظ.

2- العمليات المعرفية:

تعني تعلّم التمثيل الرمزي مثل: النظم اللغوية، الرموز الموسيقية، الأعداد....

3- التنظيم الذاتي:

هو كيفية قيام الناس بتنظيم سلوكهم – إلى حدّ كبير- عن طريق النتائج المتوصل إليها بأنفسهم.

4- نظرية التعلّم الاجتماعي:

وتبحث نظرية التعلّم الاجتماعي في "سلوك الأفراد" في المواقف الاجتماعية، لأنّ التعلّم يحصل من خلال التفاعل الاجتماعي مع الناس الآخرين. ونجد أنّ هذه النظرية تعمل على تفسير الأنماط السلوكية الموجودة على عكس النظرية السلوكية التي تفسّر كيف يتم اكتساب أنماط سلوكية لم توجد بعد.

كما يرى أصحاب الاتجاه المعرفي إلى أنّ الإدراك المعرفي يشير إلى عملية استقبال المعلومات الحسيّة وتحويلها وتخزينها، كما يشيرون إلى كون كفاية البنية المعرفية وثباتها ووضوحها تآثر في دقة المعاني الجديدة على نحو حاسم، ومنه تركز النظرية المعرفية على جملة من الافتراضات أبرزها:

- 1- يتضمن التعلّم إعادة ترتيب الأفكار والخبرات السابقة.
- 2- يحدث التعلّم عندما يقوم المتعلم بمعالجة المعلومات الجديدة.
- 3- دون الاستعداد الكافي ربّما لا يتمّ التعلّم.
- 4- يستطيع المتعلّم جعل التعلّم ذا معنى إذا قام بالانتباه للخبرات الجديدة، وربطها بالخبرات السابقة.

وهي مبادئ تخالف – في الأساس- المدرسة السلوكية التي تقوم على المثير والاستجابة، وأمّا عن تطبيقاتها التربوية يمكن القول إنّ التعلّم يتمّ خلال عمليات التمايز والتعميم وإعادة بناء الحيز الحيوي بالنسبة للبنية النفسية التي يتواجد فيها بطريقة ما تجعله يكتسب معان جديدة لمناطق المجال المعرفي الذي يتصل بذاته حينها يصبح المعلم موجّها ومنظّما لعملية التعلّم، حيث يساعد المتعلّم في مواقف التعلّم المختلفة.